دور المرأة الاستخباري في الخلافة العباسية حتى العصر السلجوقي

أ. د. حنان رضا الكعبي

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم التأريخ

دور المرأة الاستخباري في الخلافة العباسية حتى العصر السلجوقي

أ. د. حنان رضا الكعبي

ملخص البحث:

للمرأة دور متميز ومؤثر في الحضارة العربية الاسلامية، فأسهمت أسهاما "فعالا" في الحياة العامة بجوانبها الاجتماعية والسياسية والثقافية... ويمكننا القول- أن المرأة تبؤات مكانة سامية في المجتمع العربي منذ القدم أفضل بكثير من موقعها في مجتمعات الفرس واليونان والرومان, فسبقت بذلك نساء الشعوب الأخرى...

فكان للمرأة العربية في العصر العباسي دور سياسي مهم تجلى من خلال مشاركتها في أمور الادارة والحكم، وبرزت نساء أخريات من خلال عملهن (عيونا للخلفاء) ضمن طائفة موظفي دار الخلافة السريين وهم (أصحاب الاخبار والعيون), التقصي أخبار الرعية وجمع التقارير وخاصة للمناوئين للدولة ممثلة بخليفتها وبلاطه، وقد فرضت هذه الوظيفة طبيعة التحديات العسكرية والتهديدات الداخلية التي جابهت الدولة العربية الاسلامية مستهدفة أمنها ومؤسساتها بشكل خفي من فرس وروم وأتراك... فجاءت تلبيه للحاجة التي فرضتها طبيعة المرحلة واجراءات الخليفة الأمنية بما يحفظ الدولة وكيانها، وقد برزت العديد من النساء في هذا المجال، وسنحاول تقصي المعنى اللغوي والاصطلاحي لاصحاب العيون، وجذور هذه المهنة التأريخية، وأبرز شروطها ومؤهلاتها، ومن ثم ستركز وباستفاضة تأريخية في محور أستعانة الخلفاء العباسيين بوظيفة أصحاب العيون وأهميتها السياسية للنساء- تحديداً- وهذا ما يهمنا.....

ومن الله التوفيق...

الى جانب الدور الذي ادته المراة العربية في المجال السياسي من خلال مشاركتها في امور الادارة والحكم، برزت نساء اخريات من خلال عملهن عيوناً للخلفاء بما يشبه (الشرطة السرية) في الوقت الحاضر، لاستقصاء اخبار الناس المعادين للدولة، واخبار الاشقياء ومعرفة اخبار الدولة[١]

فقد جابهت الدولة العربية الاسلامية الكثير من التهديدات العسكرية المسلحة وردت عليها، ومن ثم نجحت في تحطيمها، أو تحجيم قوتها، لكنها في الوقت نفسه، جابهت تهديداً آخر، يستهدف أمنها ومؤسساتها بشكل خفي، أو مستور، وكان (جواسيس العدو) من الفرس والروم والاتراك، هم محور هذا التهديد، في الوقت الذي كان فيه الجيش الاسلامي، يواجه هذه التحديات الخارجية دفاعاً عن الامن والنفس العربية وحمايتهما.

فكان لزاماً على كل دولة ممثلة بخليفتها ان تلبي طموح شعبها باتخاذ ذلك الخليفة الكثير من الاجراءات الأمنية بالشكل الذي يحافظ على كيان الدولة ومصالحها، وقد ذكر أن "الواجب على الحكام العناية بالامن المعرفة اخبار العدو حين يلزم الأمر"[٢]، وكان للعيون الدور الريادي في ذلك الأمر.

ويذكر (الزمخشري) العين قائلاً: "وتعيناً عيناً يتعين لنا أي يتبصر ويتجسس"[٣]، " والعين الذي يبعث ليتجسس الخبر"[٤]، "والعين الذي تجسس الاخبار ثم ياتي بها، وذلك لان عمله بعينه او لشدة اهتمامه بالرؤية واستغراقه فيها، فكان جميع جسده صار عيناً"[٥]، "ويقال ذو العينين للجاسوس، والعين: الديدبان والجاسوس"[٦]، "وبمعنى الرقيب اخذاً من الفارسية فان: ديده بمعنى رؤية بمعنى صاحبها أو الموكل بها"[٧].

واجمل ما قيل في العين: "العين والوجه واللسان اصحاب اخبار على القلب"[٨].

جذور بث العيون تاريخياً :

ونظراً لافتقار العرب الى حكومة مركزية منظمة، فلم تكن عنايتهم قبل الاسلام باجهزة الامن وبث العيون وجمع المعلومات عن الاعداء بشكل كبير، الا انهم لم يغفلوا هذا الجاني من عنايتهم بل سعوا الى معرفة اخبار عدوهم مستخدمين سبلاً كثيرة للتمويه عندما يرسلون عيونهم بهيأة تجار او مسافرين، فضلاً عن "... خبرتهم في اقتفاء الآثار، وتتبع الاعداء، والفراسة، الى جانب تقصي الاخبار عنهم بالسؤال، ومقارنة الاشياء"[٩].

ولم يكتف عرب قبل الاسلام بذلك بل اتخذوا عدة تدابير امنية، منها ان يقدم البدوي على خلع ثيابه، اذا ما اكتشف غارة على قبيلته، او مراعيها، ليلوح بها لقومه الذين يفهمون اشارته تلك، ويسمى هذا المخبر بـ (النذير العريان)[١٠].

وقد ورد في القرآن الكريم ان (هدهد نبي الله سليمان كان يقوم بما يشبه العمل الاستخباري) فقد كان يجمع له المعلومات عن (مملكة سبأ) والتي تمثل العدو، فقال تعالى: "... فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين، اني وجدت امراة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم"[١١]. فقدم الهدهد معلومات استطلاعية مركزة عن العدو واصفاً له حالهم: "اني وجدت امراة تملكهم....." [١٢]

وكذلك كان للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – عيون يبثهم ليرصدوا له الاعداء, ويطلعونه على كل صغيرة وكبيرة تضر بالمصلحة العامة في حالتي السلم والحرب، ومنهم عمه (العباس بن عبد المطلب)– رضي الله عنه – وامين سر الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – الصحابي (حذيفة بن اليمان) [١٣] رضي الله عنه، فكان استعمال العيون للاستخبار عن العدو في حالة الحرب شيئاً مالوفاً.

فقد ذكر (ابن هشام) في اخبار صلح الحديبية (٦ هـ – ٦٢٧م) ان قريشاً "بعثت اربعين رجلاً او خمسين رجلاً وامروهم ان يطوفوا بعسكر رسول الله, صلى الله عليه وسلم– ليصيبو لهم عن اصحابه، فاخذوا اخذا فاتى بهم رسول الله، فعفا عنهم وخلى سبيلهم"[١٤].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم– حينها قد "بعث عيناً من خزاعة يتخبر له خبر قريش، أي يتعرف"[١٥] ولما عزم النبي عليه الصلاة والسلام على فتح مكة سنة (٨ هـ – ٦٢٩ م) قال في دعائه:

"اللهم، خذ العيون والاخبار من قريش حتى نباغتها في بلادها"[١٦].

واستخدمت المرأة في هذا الجهاز المهم ولاول مرة في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم– منذ بداية الدعوة الاسلامية في مكة المكرمة، حيث كانت اسماء بنت ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) اول امراة مسلمة تقوم بنقل الاخبار والمعلومات للرسول –صلى الله عليه وسلم– عن المشركين وتحركاتهم فضلاً عن دورها في نقل الماء والطعام[١٧].

وقد برز دور العيون خلال القرن الأول الهجري في حروب العرب مع الفرس والروم فيذكر (الطبري) بانه: "كان يومها العيون من تغلب واياد والنمر"[١٨]، ان هؤلاء من العرب لكنهم نصارى، ناصروا العرب المسلمين، فكانوا عيونهم على العدو، ياتونهم بتحركات جيوشهم واخبارهم.

اما في العصر الاموي فقد تحول هؤلاء (العيون) الى موظفين رسميين بعد ان كثر جواسيس الروم في دمشق[١٩]، فقد قاموا بتزويد الدولة بمعلومات في غاية الاهمية، ويشير (الطبري) الى ان معاوية بن ابي سفيان عني بجهاز العيون وقد برر ذلك قائلاً:

ان العدو قريب منا ولهم عيون وجواسيس في بلدنا"[٢٠]، وعلى هذا كان عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي[٢١]، ومن الشواهد التاريخية على عناية رجال الدولة الأموية بالعيون وفي مقدمتهم الخلفاء ما جاء في رسالة مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/٧٤٤-٧٥٠م) اخر الخلفاء الأمويين, الى ابنه عبد الله حينما وجهه لحرب الضحاك بن قيس الشيباني، والتي جاء فيها:

".... للجواسيس معاملة خاصة، فيجب ان تؤخذ معلوماتهم بعين الحذر، كما يجب أن يعاملوا هم ايضاً بالحذر... واعلم ان جواسيسك وعيونك ربما صدقوك، وربما غشوك، وربما كانوا لك وعليك... فلا يبدر منك فرطة عقوبة الى احد منهم، واستنزل نصائحهم بالمياحة والمناله[٢٢] وابسط من امالهم فيك..."[٢٣].

شروط ومؤهلات اصحاب الأخبار والعيون :

وقد اشترط القادة المسلمون في عيونهم بعض الصفات مستندين الى ما ورد في القرآن الكريم وسياسة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المنحى.

١. ان يكون صادقاً ممن يوثق باخباره، فقال سليمان لهدهده: "..... سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين"[٢٤].

٢. يكون كتوماً للسر، حافظاً له، فيتجنب كل فلته لسان حتى لا ينكشف امره[٢٥].

٣. يتميز بالفراسة وسرعة الحدس، ولذلك اشرا الامام علي -رضي الله عنه- بقوله: "..... واعلموا ان مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم"[٢٦].

٤. "كثير الدهاء والحيل، والخديعة ليتوصل بدهائه الى كل موصل، ويدخل بحيلته كل مدخل... [٢٧].

وقد أكد العرب المسلمون هذا الامر قائلين: "تفقد عدوك قبل ان يمتد باعه ويطول ذراعه, وتكبر شكيمته، وتشتد شوكته، ويعضل داؤه، ويعجز دواؤه"[٢٨] و "يجب على السلطان ان يكون له جواسيس قد عرف منهم الثقة والدين والامانة"[٢٩].

فكان أولي الأمر في الدولة العربية الاسلامية يرعون موظفيهم من العيون ويجزلوا لهم العطاء، والاحسان الى عوائلهم ورعايتهم اثناء غيابهم[٣٠].

النساء عيون الخلفاء في العصر العباسي :

ان في اتخاذ الخلفاء المسلمين للعيون اهميته السياسية لما لهم من مكانة ووظيفة مهمة، وفي هذا الصدد يقول (ابن عبد الحكم) : "منهم موظفوا الامير (الوالي)، من مختلف القبائل. يعرفون كل شيء يجري فيها، ولا يعرفهم احد[٣١] وفي هذا الصدد، وهو الذي يوزع عليهم المسؤليات ويحدد المهمات والواجبات المطلوبة[٣٢].

فاستعان الخلفاء العباسيون بالعيون لمعرفة حركات قوى المعارضة المعادية للدولة، "وكان الخلفاء يرسلون من العاصمة عينا لهم، يدخل المدينة، يبقى فيها ستة اشهر، ثم ينقل للخليفة ما جمعه من معلومات عن طبيعة الأوضاع ومسارها[٣٣]، وكان للنساء دوراً كبيراً في هذا المجال حيث عملن عيوناً للخلفاء، فاستغل بعضهن مهنة الحجامة في جمع المعلومات والاستخبار للخلفاء مما يجري في المنازل فشاركت المرأة الرجل في هذه المهنة.

وقد اكد (البيهقي) ذلك قائلا: "أن بعض النسوة مارست هذه المهنة[٣٤] حيث يدخلن في البيوت بحكم مهنتهن، فيستغلن وجودهن لاغراض التقصي عن اخبار الناس، وقد ظهر هذا الامر جليا في عصر الخليفة المنصور (١٣٦ – ١٦٩هـ) ومن الشواهد على ذلك ما ذكره البيهقي قائلاً:

"ان امراة جيء بها الى ابي جعفر المنصور ليسألها عن [محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية][*] وعن مكانه.. فلما استمرت بالانكار، فاجأها بقوله: تعرفين فلانه الحجامه؟ فتغيرت وقالت: نعم يا امير المؤمنين تلك من بني سليم، قال: صدقت هي والله أمتي ابتعتها

بمالي، ورزقي يجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندي سيرتها وامرتها، ان تدخل منازلكم وتحجمكم وتعرف احوالكم واخباركم.."[٣٥].

فقد "كان المنصور أكثر الأمور عنده معرفة احوال الناس، حتى عرف الولى من العدو والمداجي من المسالم، فساس الرعيه ولبسها[**]، وهو من معرفتها على مثل وضح النهار"[٣٦].

وهناك اشارة الى استخدام ابي جعفر المنصور لنساء يمتهن مهناً اخرى مثل الحاضنة, لجمع المعلومات عن بعض الشخصيات التي تعادي الخلافة العباسية ومن الشواهد على ذلك ما ذكره (الطبري) قائلاً:

"ان المنصور ضم رجلاً من اهل الكوفة يقال له الفضيل بن عمران، الى ابنه جعفر وجعله كاتبه، وولاه امرة... فنصبت ام عبيد الله حاضنة جعفر للفضيل بن عمران فسعت به الى المنصور"[٣٧].

وللخليفة المهدي (١٥٨ – ١٦٩ هـ) عيون من النساء يستقصي من خلالهن اخبار العامة والخاصة لكشف العناصر المسيئة والمخربة والمقامرة على الدولة فاستطاع ان يوقع بوزيره (يعقوب بن داود)[***] عندما دس له جارية من جواريه اهداه اياها مع فرش ومائه الف درهم، لتنقل اليه اخباره, فاراد المهدي اختيار وزيره, بان سلم اليه علوياً، ولكن العلوي استعطف يعقوب فقال له: ويحك يا يعقوب! تلقى الله في دمي وانا رجل من ولد فاطمة بنت محمد؟ فقال له: لا والله، فاطلق سراحه دون أي يستأذن الخليفة وزعم له أنه نفذ امره وقتله، فنقلت الجارية الى المهدي خبر اطلاق سراح ذلك العلوي، مما أغضب المهدي، فكانت سعاية هذه الجارية التي كانت عيناً للخليفة داخل دار الوزير[٣٨]، السبب في عزل هذا الوزير وبقائه في السجن حتى اخرجه الرشيد في ايام خلافته، وواضح من هذا النص دور المرأة، انها من التابعات للخليفة فكانت صاحبة خبر وعين، حتى على وزير الخليفة.

ويبدو ان الرشيد كان له جهاز كبير من الرجال والنساء في مجال العيون، من اجل مراقبة الرعية والخارجين على الدولة واصحاب الاضطرابات والفتن، فكانت تصله التقارير الاخبارية يوماً بيوم ويشير (ابن الازرق) الى نص تاريخي مهم يؤكد من خلاله استخدام للرشيد للنساء قائلا.

(استخدم هارون الرشيد النساء عيون المعرفة اسرار الناس وقد كان يقال هناك عشرة الاف امراة تجلب له اخبار مدينة السلام وكان كثير العناية بهذا الأمر ويتشدد فيه ولا يفوته شيء) [٣٩].

وقد ذكر الجاحظ قائلاً: "ثم درست هذه حتى ملك الرشيد فكان اشد الملوك بحثاً عن اسرار رعيته وأكثرهم بها عناية واحزمهم فيها امراً"[٤٠]، مقتدياً بسياسة الخلفاء الذين سبقوه، فقد "كانت للرشيد عيون وارصاد يقصرون الخطوة للقبض على خصومه السياسين"[٤١].

وذكر (الجهشياري) اخبار زيارات مباغته كان يقوم بها موظفوه للسجن ليرفعوا الى الرشيد اخبارهم[٤٢]، فلم يكتف الرشيد ببث عيونه على العامة من الطلقاء بل تعداه الى من سجنهم منهم.

وكان للمراة مشاركة فعالة في عصر الخليفة المأمون (١٩٨– ٢١٨هـ) الذي تميز بعنايته بيث العيون ومتابعتها فكانت تصله اخبار القاصي والداني ومن الادلة على ذلك: رسالته التي بعث بها الى اسحاق بن ابراهيم المصعبي (امير بغداد) في الفقهاء واصحاب الحديث، وهو بالشام، حصر فيها عيب واحداً واحد، وعن حالته واموره التي خفيت.. عن القريب والبعيد"[٤٣].

مما يؤكد توسع دائرة بث العيون ونشاط عملها اثناء مدة خلافته، فضلاً عن دقة متابعته لكل صغيرة وكبيرة ترد عن هؤلاء الموظفين.

ويذكر (ابن طيفور): "انه عين ابراهيم بن السندي صاحب الخبر بمدينة السلام"[٤٤]، فيكون بذلك اول خليفة يعلن استحداث منصب (صاحب الخبر) في الدولة العباسية.

ويتجلى لنا دور النساء العربيات عيون للخلفاء وحرصهن على رصد اعداء الدولة والمعارضين للخليفة، وتنبيه السلطة اليه قبل ان يستفحل أمرهم وتقوى شكيمتهم مما ينتج عنه حدوث اضطرابات وزعزعة في الأمن الداخلي للدولة العربية الاسلامية،

ولم ينحصر هذا الدور ضمن نطاق دائرة امراة او اثنين بل تعداه ليكون للمامون جيشا من مئات العجائز، فقد عنى المأمون عناية كبيرة في شؤون الرعية وما يجري وما يدور في عاصمة الخلافة العباسية، ويذكر بعض المؤرخين ان لدى المأمون جهازاً خاصاً من النساء في نقل المعلومات الى الخليفة، لا يعون هذا الجهاز سوى الخليفة نفسه، وهو المشرف

عليه، وهو الذي يديره، وهو الذي يتلقى التقارير الامنية وحده ويقراها، ويصدر الأوامر حسب ما تقتضيه الحالة الامنية، فقد أوردت المصادر التاريخية النص الآتي:

".... وجعل يرسم جلب اخبار بغداد اليه الف عجوز وسبعمائة عجوز، فما كان يخفى عليه شيء من أمر الناس ظاهراً وباطناً، وكان لا ينام حتى يقف على جميعها وكان امره نافذاً"[٤٥]، بينما يجعلهن (النويري) الف ومائتي عجوز[٤٦].

النص واضح، ويشير الى ان الخليفة يتلقى تقارير امنية عن تحركات جميع من يحاول ان يعبث بالامن والاستقرار، لاسيما ان بعض العيون لاجهزة الدولة الامنية لا تستطيع الوصول والدخول اليها في مثل ذلك العصر.

وتأسيساً على ذلك يمكن الاستنتاج ان بعض الشخصيات من الامراء والقادة والوزراء والاجانب، والوافدين من الاقاليم، ومدن الدولة العربية الاسلامية يمكن ان يكون لهم ارتباط مع بعض المتامرين ضد الدولة سعياً منهم للقيام باضطربات وفتن داخل الدولة العباسية فتكون عيون الخليفة لهم بالمرصاد.

وامر آخر يشير اليه النص: "فما كان يخفى عليه شيء من أمر الناس ظاهراً وباطناً" أي ان هناك بعض الاشخاص من الممكن ان يكونوا من المتامرين على الدولة، وهم بالتاكيد مخفين في بيوت ومحلات بغداد الواسعة، ومن هؤلاء العلماء: والفقهاء ذوو الافكار والمعتقدات المعادية للدين الاسلامي كالزنادقة وفرق الغلو وغيرهم، الذين يحاولون نشر افكارهم وارائهم المضادة لزعزعة الدين الاسلامي واضعافه، ولكي يتيسر الحصول على بعض المعلومات عن هؤلاء يستعان بالعنصر النسوي لتحقيق هذا الغرض.

فيسجل التاريخ العربي للخليفة المأمون انه اول من استعان بالنساء العجائز في بثه للعيون لتفقد احوال الناس من الموالين والمعارضين للخلافة، ولا بد لهؤلاء النسوة ان يتخذن اسلوب التنكر اثناء عملهن لاغراض التمويه علما بان النساء العباسيات قد امتهن الكثير من المهن والحرف في ذلك العصر كالحجامه[٤٧] والطباخه والخبازة في بيوت الموسورين[٤٨]، والحاضنة[٤٩] والطبيبة[٥٠] والقابلة[٥١] والمعلمة والخاطبة[٥٢]، وقد يلجأ بعضهن الى اتخاذ مهنة الكدية والتسول بقصد تغطية اكبر رقعة جغرافية ممكنة من خلال مهنتها لتقصي الحقائق وجمع اكبر عدد ممكن من الاخبار والمعلومات.

وربما يكون السبب في انتفاء المأمون لعيونه من العجائز، لعاملين مهمين هما:

اولهما: استبعاد العامة من الناس بحقيقة وظيفتهن لكبر سنهن.

وثانيهما: سهولة حركتهن، وفي أي مكان يستطعن الدخول ومعرفة خفايا بعض الامور في الوقت الذي يتعذر على الشابات القيام بذلك.

مما يدل على سعة ذكاء المأمون وحنكته ودهائه وعظيم مقدرته، مما مكنه من السيطرة على مجريات الأمور، وقضائه على جميع الفتن والاضطرابات خلال مدة خلافته.

ويشير (ابن اعثم الكوفي) الى رواية ينقل لنا من خلالها دوراً مهماً ومؤثراً للمرأة في نقل الاخبار والتجسس للمأمون، فكانت سبباً في احباط الدسائس والمؤامرات التي تحيط به، قائلاً: "وشاور الامين يحيى بن سليم وكان ذا راي وعقل رصين ومعرفة بامور الدول، في خلع المامون فقال له يحيى: يا امير المؤمنين لا تجاهر مجاهرة يستنكرها الناس ويظهر شناعتها للعامة، ولكن الرأي يا امير المؤمنين ان تستدعي الجند بعد الجند والقائد بعد القائد وتنويهم بالالطاف والهدايا, وتستميلهم بالاطماع، فاذا ذهبت قوته واستقرت رجاله امرته بالقدوم عليك، فان قدم كان الذي تريد، وان ابى كنت قد تناولته وقد قل جنوده وضعف ركنه، وكان للمامون بباب الامين صاحب خبر ينتهي اليه الاخبار فكتب الى المامون في ذلك كتاباً وجعله في عود منظور من اعواد الاكاف مع امراة وكانت الامراة تمضي على المسالح، وقد سد الفضل بن الربيع افواه الطرق, وان لا يجوزها احد، فجاءت المرأة الى صاحب البريد وعرفته"[٥٣].

وذكر ابراهيم بن السندي (صاحب خبره) انه ((جالس المامون ومعه ابراهيم بن المهدي, فطفق يحدث عن اهل عسكره، حتى والله لو ان رجلاً اقام في رحل كل رجل من الجند حولاً، لما زاد على معرفته, لشدة تنقيره وتتبعه احوال الناس)) [٥٤]، ولم يكتف المأمون بما يرد اليه من موظفوه من العيون، بل حرص على ان يتقصى الاخبار وحقائق الأمور بنفسه، فكان عيناً من عيون الخلافة العباسية، فيشير (الماوردي) انه كان: "يدور ليلاً ونهاراً مستترأ بنفسه مخافة اهل الشر"[٥٥].

وفي اشارة (للثعالبي) ان المامون استخدم العنصر النسوي في مجال العيون وجمع الاخبار والمراقبة والرصد، ورفع التقارير اليه، عندما كان في خراسان، حيث قال: "يحكى ان

المامون لما بايع لعلي بن موسى الرضا وهو بمرو بلغ ذلك بني العباس ببغداد فغضبوا لذلك وقالوا نطيعه على اخراج الامر من بيننا، فاجتمعوا وبايعوا ابراهيم بن المهدي وثارت العلوية بالحجاز واليمن والعراق وطبرستان وحاربوا الحسن بن سهل حتى كسروه، والاخبار اذ ذلك مطوية عن المامون بسبب تحكم الفضل بن سهل وتحكم اصحاب البريد والاخبار فتحيلت جارية المامون الى ان بعثت له خلعاً من خز ووشي، وكتبت على بطانتها ما اردت وجعلت عليها بطائن خلقه فوق ذلك، فلما عرضت على الفضل حملها الى المأمون، فلما أراد المأمون لبسها تعجب من رداءة بطانتها ووسخها فنزعها فوجد الكتابة عليها فغضب من انطواء الاخبار وتنكر للفضل بن سهل..." (٥٦).

وبذلك يكون جلياً لدينا عمق عناية المأمون بالعيون ومدى متابعته الشخصية لتفاصيلها وتقديمه التوصيات بشأنها وارشاده لاصحاب اخباره من العيون، اضافة الى تطور وتشعب فروع المهمات الأمنية اثناء مدة خلافته.

"فكان المأمون يعنى بمعرفة احوال عماله، وكان يفحص عنهم وعن دفين اسرار حكامه فحصاً شافياً، فلا يخفى عليه ما يفيد كل امريء وما ينفق... وكان يتتبع احوال القضاة والولاة والجند"(٥٧).

ولم تعمل المرأة في مجال العيون والمجال الاستخباري وجمع الاخبار للخلفاء أو غيرهم فحسب وانما عملت لامهات الخلفاء عيوناً على القادة الاتراك، وإيصال المعلومات، بما يحاك من مؤامرات ضد الخليفة.

فهذه ام المستعين كانت لها عين على القائد التركي باغر، وعلى بغا ووصيف، فعندما اجمع هؤلاء على قتل المستعين, اوصلت هذه المراة المعلومات الى ام المستعين"(٥٨).

وكان (لمحمد بن راشد المغربي)(*)، عيون من النساء على الاتراك، فعندما تآمر الاتراك على اخراج ابراهيم المؤيد من السجن، جاءت هذه المرأة، فاخبرت محمد بن راشد، وبدوره اخبر الخليفة المعتز (٥٩).

وفي هذا الأمر يؤكد (الطبري) استعانة الخليفة المهتدي بامراة كانت صاحبة عين وخبر للخليفة في رفع التقارير الاخبارية ورصد المتامرين على الخليفة فقد ذكر قائلاً: "ذكر ان سبب قتل صالح بن وصيف كان ان المهتدي لما كان يوم الاربعاء... سنة ست وخمسين

ومائتين اظهر كتاباً ذكر ان سيما الشرابي (القائد التركي) زعم ان امراة جاءت به... ودفعته الى كافور الخادم الموكل بالحرم وقالت له: ان فيه نصيحة... فاوصل الى المهتدي[٦٠] فيتضح من النص ان صالح بن وصيف كان من المتامرين على الخليفة المهتدي نتيجة اتصالاته مع حاكم مصر كافور الاخشيدي، وعندما ايقن الخليفة بالامر بعد ان قرأ الكتاب بخطه امر بقتله.

اما الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩ – ٢٨٩ هـ) فقد "اولع ببث العيون وتقصي الاخبار, حتى على وزرائه وخاصته"[٦١]، وإن شغف هذا الخليفة ببث العيون وما عرف عن مهارة المتجسسين في عصره تتجلى في رواية أوردها (الطبري) في احداث سنة (٢٨٧هـ – ٩٠٠م) قائلاً: "اخذ الخليفة المعتضد بالبحث عن وصيف الخادم، لمعاقبته على سوء تصرف منه، ثم رحل صوب (المصيصة)[*] لنفس الغرض، وبينما هو يحث الخطا نحو هدفه، وإذا بالعيون أخبرته بتوجه وصيف الخادم نحو (عين زربه)[**]... وبعد حين قبض عليه..."[٦٢].

فادت العيون دوراً في القبض على المناهضين للخلافة مما يدلل على براعتها وحسن اتقانها في وظيفتها ومدى ولع الخليفة وحبه لروح المغامرة بان يقوم بنفسه في اقتفاء آثار وصيف ومن ثم القبض عليه.

اما في خلافة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) فقد عاود الخلفاء العباسيين الاستعانة بالنساء في افاق بث العيون التي توسعت ارجائها وترامت اطرافها، فلم تستثنى ناحية من نواحي المجتمع، الا وقد احاطت بها.

فكان للنساء الشواعر دوراً في الانضمام الى دائرة العيون وتقصي الاخبار والحقائق، ومنهن الشاعرة والمغنية المشهورة (بدعة الكبيرة)[***] المتوفاة سنة (٣٠٢ هـ – ٩١٤ م) والتي اشار اليها (الصابي) قائلاً: "انها كانت صاحبة خبر المقتدر بالله..." [٦٣] على القادة والوزراء وربما بحكم اختلاطها بهم وتقربها اليهم من خلال المجالس الشعرية التي تعقدها والمناظرات التي تدور خلالها، فكان يخشى البعض منهم حضورها لديهم ولا سيما الوزير (ابو الحسن بن الفرات)[****]" فقد كان ينفر منها ويكره حضورها عنده"[٦٤].

ويمكننا ترجيح نشاط عملية بث العيون ولا سيما العنصر النسوي الى عدة اسباب نراها مهمة في تفسير هذه الظاهرة ابرزها:

١. كثرة الاضطرابات الداخلية التي حلفت بها مدة خلافة المقتدر، وبروز تأثيرات المرأة السياسية على مسرح الاحداث اكثر من أي حقبة اخرى، مما حفز الخليفة والقادة والوزراء في بث العيون والاستعانة بها.

٢. بروز ظاهرة تعدد الوزراء الذين تسلموا مقاليد الحكم في الوزارة خلال فترة خلافته فقد "بلغوا اثنى عشر وزيراً"[٦٥] فكان مدعاة الى رصد تصرفات هؤلاء الوزراء ومراقبة الخليفة وولاته لسير امورهم في وزاراتهم.

وتشير المصادر التاريخية الى دور النساء في خلافة الحاكم بامر الله (٣٨٦-٤١١هـ) كعيون للتزود بالاخبار عن عامة الناس في طول البلاد وعرضها "فاكثر من طلب اخبار الناس والوقوف على احوالهم، وبعث المتجسسين من الرجال والنساء فلم يكن يخفى عليه ولا امرأة من حواشيه ورعيته..." [٦٦].

ويشير (التوحيدي) الى استعانة عضد الدولة البويهي بمؤدبي الصبيان في البحث عن احوال جنده وعسكره واسرارهم مجرياً عليهم الارزاق، فذكر ذلك قائلاً:

"وكان عضد الدولة، له اصحاب اخبار في كل مكان، حتى انه كان يقدم لمؤدبي الصبيان ارزاقاً، لكي يسألوا من اولاد الجنود، عن امور آبائهم"[٦٧].

ان وظيفة العيون لا تنحصر ضمن نطاق تقصي أخبار العامة والخاصة بل الى رصد الاعداء داخل الدولة العربية الاسلامية وخارجها "فللمعارضة عيونها ايضاً..." [٦٨] وقد تستخدم العيون ومن ضمنها النساء للتجسس على الخليفة نفسه او احد رجال دولته، فتعمل على ملاحظة الكتب الواردة والصادرة عن دار الخلافة[٦٩]، وتنقل للعدو كل ما يهمه من اخبار الدولة ورجالها.

ومما يؤكد أهمية اتخاذ الخلفاء للعيون في تقصي اخبار العدو الى جانب اخبار الرعية واسرار رجال الدولة ما ذكره (الجاحظ) قائلاً:

"فعلى الملك ان يميز بين اوليائه واعدائه بالفحص عن اسرارهم ودقيق اخبارهم... فان الرعية لا تسكن قلوبها جلالة ملكها.. ولو عبدته الجن والانس ودانت له ملوك الامم كلها- حتى يكون اشد اشراقاً عليها واكثر بحثاً عن سرائرها، من ام الفريد عن حركته وسكونه"[٧٠]، ويتضح لنا أن استخدام النساء كعنصر من عناصر الأمن حاجة ملحة ومهمة للحفاظ على

امن الدولة والمجتمع، فكثير من النساء اللاتي عملن صاحبة خبر، قد كشفن عمق الكثير من المؤامرات، والكثير من الذين كانوا يختبئون ويحركون عناصرهم في اشارة الفتن والفوضى والاضطرابات، فيمكننا القول: أن دور المرأة في هذا المجال لا تقل اهمية وخطورة عن الرجل، بل لم يتمكن البعض من الرجال من كشف هذه العناصر واماكن اختبائها فجاءت المرأة لتؤكد قدرتها وذكاءها في كشف هؤلاء المتأمرين ضد الدولة والدين الاسلامي.

الخاتمة وأبرز نتائج البحث :

١. للمرأة دور متميز ومؤثر في الحضارة العربية الاسلامية وبشكل فعال في الحياة السياسية خلال العصر العباسي وهذا ما يتجلى في دورها الاستخباري وجمع المعلومات لحماية امن الدولة ومؤسساتها.
٢. كان لزاماً على كل دولة ممثلة بخليفتها ان تلبي طموح شعبها بأتخاذ الاجراءات الامنية بالشكل الذي يحافظ على كيان الدولة وحمايتها في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية.
٣. لو تتبعنا جذور بث العيون تاريخياً نجد بأنه على الرغم من افتقار العرب الحكومة مركزية منظمة الا أنهم لم يغتلوا عنايتهم ببث العيون بما يشبه (الشرطة السرية) في الوقت الحاضر لجمع المعلومات عن الاعداء وتحركاتهم فأرسلوا عيونهم بهيئة تجاراً او مسافرين فضلاً عن خبرتهم في اقتفاء الآثار وتتبع الاعداء والفراسة فضلاً عن تقصي الاخبار بالسؤال ومقارنة الاشياء.
٤. واستخدمت المرأة في هذا الجهاز لاول مرة في عهد الرسول (علية الصلاة والسلام) منذ بداية الدعوة الاسلامية في مكة المكرمة، حيث كانت اسماء بنت ابي بكر (رض) اول أمرة مسلمة تقوم بنقل الاخبار والمعلومات للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن المشركين وتحركاتهم فضلاً عن دورها في نقل الماء والطعام.
٥. للمرأة العربية دور سياسي مهم تجلى في مشاركتها في أمور الادارة والحكم، وبرزت نساء أخريات من خلال عملهن (عيوناً للخلفاء) ضمن طائفة موظفي دار الخلافة السريين وهم (اصحاب الاخبار والعيون).

٦. لاصحاب الاخبار معاملة خاصة اذ يجب التعامل معهم بحذر وتؤخذ معلوماتهم بعين الحذر حتى اشترط القادة المسلمون في عيونهم شروط ومؤهلات خاصة وهذا بطبيعة الحال ما ينطبق في اختيار النساء عيوناً للخلفاء في تقصي اخبار العدو واخبار الرعية بالفحص عن اسرارهم ودقيق اخبارهم.

٧. ولم تعمل المرأة في مجال العيون والجهد الاستخباري وجمع المعلومات للخلفاء أو غيرهم وحسب وانما عملت للامهات الخلفاء عيوناً على القادة الاتراك وايصال المعلومات بما يحاك من مؤامرات ضد الخليفة نفسه مثل ام المستعين بالله (باي خاتون) وشغب (ام المقتدر).

هوامش البحث :

[١]) البيهقي، المحاسن والمساويء، ج ١، طبعة بيروت، دار صادر، ١٩٦٠، ص٢٤١ –ص٢٤٢.

[٢]) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص ٧٢.

[٣]) اساس البلاغة، ص٤٤٣ مادة: عين.

[٤]) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص٣٠١ مادة: عين.

[٥]) ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص٣٣٧.

[٦]) الجوهري، الصحاح، تقديم عبد الله العلايلي، اعداد وتصنيف: نديم مرعشلي واسامة مرعشلي، ج ٢، بيروت، دار الحضارة العربية، ص١٨٢.

[٧]) انظر: الجواليقي: ابي المنصور موهوب بن احمد بن محمد (ت: ٥٤٠هـ – ١١٤٥ م) ، والمعرب، تحقيق: احمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩، ص١٨٩، الخفاجي: شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر المصري (ت: ١٠٦٩–١٦٥٨م)، شفاء الغليل، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة المطبعة المنيرية، ١٩٥٢، ص١١٩.

[٨]) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص١٣٥.

[٩]) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ٥، ص٤٠٨.

[١٠]) جواد علي المفصل، ج ٥، ص٤٠٩.

[١١]) سورة النمل، الآية: ٢٢ – ٢٣.

[١٢]) سورة النمل، الآية: ٢٣.

[١٣]) للمزيد راجع: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٥٧٩.
وحذيفة بن اليمان العبسي: انظر ترجمتة في: ابن الاثير، اسد الغابة ج١، ص٣٨٩ –ص٣٩٢، ابن حجر، الاصابة، ج١، ص٢٧٧– ص٢٧٨.

[١٥]) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٣١٤.

[١٦]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص١١٤.

[١٧]) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص١٣١، الدياربكري، تاريخ الخميس، ج١، ص٣٣٠، الدويهي الهمداني: بطرس بن انطوان غيزان, (ت: ١٨٤٢م), تاريخ المسلمين، مخطوط محفوظ في مكتبة الدراسات العليا, جامعة بغداد – كلية الآداب، تحت رقم ١٣، ورقة أ٤.

[١٨]) تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٣٥.

[١٩]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص١٤.

[٢٠]) تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٣٣١.

[٢١]) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج٢، ص١١٥.

[٢٢]) المنالة: اجزاء العطاء.

[٢٣]) العسلي: بسام، فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والامويين، بيروت ١٩٧٤، ص٤٤، مكتب العلوم الاعلامية، تطور التجسس عبر العصور، مجلة الامن والجماهير، بغداد، العدد الثالث، ١٩٨٠، ص٧٢.

[٢٤]) سورة النمل، الآية: ٢٧.

[٢٥]) الهرثمي: ابو سعيد الشعراني (عاش ومات في القرن ٤ هـ/١٠ م)، مختصر سياسة الحروب، مصر، ١٩٦٤، ص٢٢.

[٢٦]) ابن ابي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله محمود (ت: ٦٥٥ هـ/١٢٥٧م)، شرح نهج البلاغة، ج٢، القاهرة ، ١٩٦٧، ص١٣.

[٢٧]) الانصاري: عمر بن ابراهيم الأوسي (ت: ٨١٤ هـ– ١٤١١م)، تفريج الكروب في تدبير الحروب، القاهرة: ١٩٦١، ص١٧.

[٢٨]) الثعالبي (ت: ٤٢٩ هـ–١٠٣٧ م)، الامثال، ، القاهرة، بلا تاريخ ن ص٦٦، مؤلف مجهول، قانون السياسة ودستور الرياسة، تحقيق: محمد جاسم الحديثي، مطبعة دار الحرية للطباعة، ١٩٨٧، ص١٣٩.

[٢٩]) الهروي: علي بن ابي بكر (ت: ٦١١هـ- ١٢١٤م)، التذكرة الهروية في الحيل الحربية، بيروت، ١٩٧٢، ص ٨٢، ابي الربيع: احمد بن محمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، دراسة وتحقيق: ناجي التكريتي، ط ١، بيروت، مطبعة الهدف، ١٩٧٨، ص١٤٢.

[٣٠]) القلقشندي، صبح الاعشى، ج ١، ص١٢٥.

[٣١]) ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله (ت: ٢٥٧ هـ-٨٧١م) فتوح مصر والمغرب، ليدن، ١٩٢٠، ص٢٠٠-ص٢٠١.

[٣٢]) الزمخشري: جار الله ابي القاسم محمد بن عمر (ت: ٥٣٨ هـ/١١٤٤ م)، اساس عين البلاغة، بيروت، دار صادر، ١٩٧٩، ص٤٤٣، مادة: عين.

[٣٣]) ابن رستة: ابو علي احمد بن عمر (ت: ٢٩٠ هـ/٩٠٢ م)، الاعلاق النفسية، طبعة ليدن، ١٨٩١، ص٦٧.

[٣٤]) المحاسن والمساوئ، ج١، ص٢٤١ - ص٢٤٢.

[٣٥]) المحاسن والمساوئ، ج١، ص٢٤١-ص ٢٤٢, بن الجوزي، المنتظم، ١، ص٦٩ و ص١٠٦، الابشيهي، المستطرف، ج٢، ص٩٥، عرفات، المرأة في العراق في العصر العباسي، ص١١٥.

[٣٦]) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج١، ص١٥٤، الابشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج٢، ص١١٥-ص١١٧، الجاحظ، التاج، ص١٧٠.

[٣٧]) تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص١٠٠.

[٣٨]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٥٧-ص١٥٩، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٤، ص٢٦٥، ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص٧٢، الطقطقي، الفخري، ص١٨٥-ص١٨٧، الخربوطلي: علي حسين، المهدي العباسي (ثالث الخلفاء العباسيين) القاهرة، سلسة اعلام العرب (٥١)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بلا تاريخ، ص١٠٨.

[٣٩]) ابي عبد الله، محمد بن علي بن محمد بن الازرق (ت: ٨٩٦هـ-١٤٩٠م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق وتعليق: د. علي النشار، ج ٣، بغداد، منشورات وزارة الاعلام، ١٩٧٨, ص١٢٥.

[٤٠]) التاج في اخلاق الملوك، ص١٧٠.

[٤١]) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص١٤١، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٨٩ و ص٢٩٧.

[٤٢]) الجهشياري، الوزراء والكتاب ن ص٢٤٥- ص٢٤٨.

[٤٣]) الجاحظ، التاج في اخلاق الملوك، ص١٧٠.

[٤٤]) تاريخ بغداد، ص٤٠- ص٤١.

[٤٥]) الجاحظ، التاج، حاشية ص١٧٠، ابن دحية النبراس، ص٤٨.

[٤٦]) نهاية الأرب، ج٢٠، ص٦٧، الرفاعي ن عصر المأمون، ج١، ص٣٢٧.

[٤٧]) البيهقي، المحاسن والمساوئ, ج١، ص٢٤١-ص٢٤٢.

[٤٨]) الثعالبي، الايجاز والاعجاز، ص١٣٢.

[٤٩]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٦٤.

[٥٠]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٠٠-ص ١٠١، التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٢، ص٩٤، ابن الجوزي، الاذكياء، ص١٧٧.

[٥١]) ابن الجوزي، ذم الهوى، ص٤٥٤.

[٥٢]) ابن الجوزي، الاذكياء، ص٢٢٥.

[٥٣]) ابي محمد احمد بن اعثم، (ت: ٣١٤هـ-٩٢٦م)، كتاب الفتوح، ج٨، ط١، الهند، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧١، ص٢٩٦.

[٥٤]) ابن طيفور، تاريخ بغداد، ص١٠٠.

[٥٥]) ابي الحسن علي بن محمد (ت: ٤٥٠ هـ-١٠٥٨ م) نصيحة الملوك، تحقيق: الحديثي: محمد جاسم، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦، ص٣٨٨.

[٥٦]) تحفة الوزراء، ص٩٧-ص٩٨.

[٥٧]) ابن خلكان وفيات الاعيان، ج٦، ص١٧٩.

[٥٨]) الطبري، تاريخ الرسل الملوك، ج٩، ص٢٨٠.

[٥٩]) الطبري، المصدر نفسه، ج٩، ص٣٦٣.

[٦٠]) تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٤٤٠.

[٦١]) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج٣، ص٢٧٧.

[٦٢]) تاريخ الرسل والملوك ج٨، ص٤٤٢- ص٤٤٣.

[٦٣]) الوزراء، بتحقيق: عبد الستار احمد فراج، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٥٨، ص٢١٥

[٦٤]) الصابي، الوزراء، ص٢١٥.

[٦٥]) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٣٢٨.

[٦٦]) ابن بسط الجوزي، مراة الجنان، ص٢٩٣- ص٢٩٤.

[٦٧]) الامتاع والمؤانسة، ج٣، ص١٤٨.

[٦٨]) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص١٢٧.

[٦٩]) مسكوية، تجارب الامم، ج١، حاشية، ص٣٩٢.

[٧٠]) التاج في اخلاق الملوك، ص١٧١ –ص١٧٢، ابن الازرق: بدائع السلك في طبائع الملك، ج٢، ص٣٨.

(قائمة المصادر والمراجع)

– القرآن الكريم.

ابن ابي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله محمود (ت: ٦٥٥هـ – ١٢٥٨م)

١. شرح نهج البلاغة، القاهرة، ١٩٦٧.

ابن أبي الربيع: شهاب الدين احمد بن محمود بن ابي الربيع (ت: ٢٧٢ هـ – ٨٨٥م).

٢. سلوك المالك في تدبير الممالك, دراسة وتحقيق: ناجي التكريتي، ط١، بيروت، مطبعة الهدف، ١٩٧٨.

ابن الاثير: عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم بن عبد الكريم (ت: ٦٣٠هـ – ١٢٣٣م).

٣. اسد الغابة في معرفة الصحابة، طهران المطبعة الاسلامية، بلا تاريخ. وتحقيق: محمد ابراهيم البنا و محمد احمد عاشور، بغداد، مطبعة الشعب، ١٩٧٣.

ابن الازرق: ابي عبد الله (ت: ٨٩٦ هـ – ١٤٩٠م).

٤. بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، بغداد، منشورات وزارة الاعلام, ١٩٧٨.

ابن اعثم: ابي محمد احمد الكوفي (ت: ٣١٤ هـ – ٩٢٦م).

٥. كتاب الفتوح، ط١، الهند، حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧١.

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت: ٥٩٧هـ ١٢٠١م).

٦. صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس، حلب، دار الوعي. وطبعة الهند، دائرة المعارف العثمانية.

٧. الاذكياء، تحقيق: محمد الصديق الغماري، القاهرة، دار المحمودية، بلا تاريخ.

٨. احكام النساء، بغداد، مكتبة الشرق الجديد، ١٩٨٩.
٩. المنتظم، ط١، حيدر آباد الدكن، مطبعة المعارف العثمانية، ١٩٤٠. وطبعة بغداد الدار الوطنية، ١٩٩٠.
١٠. ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٢.
ابن خرداذبة: ابو القاسم عبد الله (ت: ٢٨٠ هـ – ١٩٣م).
١١. المسالك والممالك، تحقيق: أم. جي. دي غويه بريل، ليدن، ١٨٨٩.
ابن دحية: ابو الخطاب عمر بن ابي علي حسن الكلبي (ت: ٦٣٣هـ – ١٢٣٥م)
١٢. النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق: عباس العزاوي، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٤٦.
ابن رستة: ابو علي احمد بن عمر (ت: ٢٩٠ هـ – ٩٠٢م).
١٣. الاعلاق النفيسة، طبعة ليدن، ١٨٩١.
ابن الساعي: تاج الدين ابي طالب علي بن انجب البغدادي (ت: ٦٧٤هـ – ١٢٧٥م).
١٤. نساء الخلفاء، المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء، تحقيق: مصطفى جواد، القاهرة، دار المعارف بلا تاريخ.
ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت: ٧٠٩ هـ – ١٣٠٩م).
١٥. الفخري في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية, عني بنشره: محمد توفيق الكتبي، مصر، المطبعة الرحمانية. وطبعة بيروت، دار صادر، ١٩٦٦.
ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله (ت: ٢٥٧هـ – ٨٧١م).
١٦. فتوح مصر والمغرب واخبارها، ليدن، ١٩٢٠.
ابن العماد: ابو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ– ١٦٧٩م).
١٧. شذرات الذهب في اخبار من ذهب، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع.
ابن كثير: عماد الدين ابي الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ – ١٣٧٢م).
١٨. البداية والنهاية، ط ٢، مكتبة المعارف، ١٩٧٨. وطبعة بيروت مكتبة المعارف ومكتبة النصر، ١٩٦٦.
ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: ٧١١ هـ– ١٣١١).

١٩. لسان العرب، طبعة بيروت، دار صادر– بيروت، ١٩٥٥.

ابن هشام: ابو محمد عبد الملك ايوب الحميدي (ت: ٢١٨-٨٣٣م).

٢٠. السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا واخرون، ط ٢، مصر، ١٩٥٥.

الابشيهي: شهاب الدين محمد بن احمد (ت: ٨٥٠هـ – ١٤٤٦م).

٢١. المستطرف في كل فن مستظرف, ط٢، القاهرة، مطبعة حجازي، ١٩٥٣. وطبعة بغداد، مطبعة اوفست منير، ١٩٨٦.

الانصاري: عمر بن ابراهيم الاوسي (ت: ٨١٤هـ – ١٤١١م).

٢٢. تفريج الكروب في تدبير الحروب، القاهرة، ١٩٦١.

البيهقي: ابراهيم بن محمد (ت: ٣٢٠ هـ – ٩٣٢م).

٢٣. المحاسن والمساوئ، تحقيق: محمد ابو الفضل، مصر، مطبعة النهضة، بلا تاريخ. وطبعة بيروت، دار صادر، ١٩٦٠.

التنوخي: ابو علي المحسن بن علي (ت: ٣٨٤ هـ – ٩٩٤م).

٢٤. نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨.

الثعالبي: ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت: ٤٢٩هـ – ١٠٣٧م).

٢٥. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مصر، دار النهضة، ١٩٦٥م. ومطبعة الظاهر، ١٩٠٨، ص٢٠٣.

٢٦. لطائف المعارف، تحقيق: ابراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي، القاهرة، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٠.

٢٧. الايجاز والاعجاز، شرحه: اسكندر اصاف, القاهرة المطبعة العمومية، ١٨٩٧.

٢٨. تحفة الوزراء، تحقيق: حبيب علي الراوي وابتسام مرهون الصفار، بغداد، مطبعة العاني, ١٩٧٧.

٢٩. من غاب عنه المطرب، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، ط١، القاهرة، مطبعة المدني, ١٩٨٤.

٣٠. يتيمة الدهر، ط ٢، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٥٦.

٣١. الامثال، مطبعة القاهرة، بلا تاريخ.

الجاحظ: ابو عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥هـ – ٨٦٩م).

٣٢. المحاسن والاضداد، تحقيق وتقديم: فوزي عطوى، بيروت، الشركة اللبنانية للكتاب, ١٩٦٩.
٣٣. تهذيب الاخلاق, نشره: محمد كرد علي، دمشق، المطبعة البطريركية الارثوذكسية، ١٩٢٤.
الجواليقي: ابي منصور موهوب بن احمد بن محمد (ت: ٥٤٠هـ – ١١٤٥م).
٣٤. المعرب من الكلام الاعجمي على حروف العجم، تحقيق: احمد شاكر محمود، ط٢, مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩.
الجوهري: اسماعيل حماد (ت: ٣٩٣هـ – ١٠٠٢م).
٣٥. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، القاهرة، م. دار الكتاب العربي، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٦م.
الخفاجي: شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر المصري (ت: ١٠٦٩هـ – ١٦٥٨م).
٣٦. شفاء الغليل، تحقيق: محمد عبد المنعم الخفاجي، طبعة مصر، مطبعة المنيرية، ١٩٥٢.
الزمخشري: ابو القاسم جار الله محمد بن عمر (ت: ٥٣٨ هـ – ١١٤٤م).
٣٧. اساس البلاغة، ت: عبد الرحيم محمود, القاهرة، مطبعة اولاد اورقائد، ١٩٥٣م.
سبط ابن الجوزي: شمس الدين المظفر يوسف (ت: ٦٥٤هـ – ١٢٥٦م).
٣٨. مراة الزمان في تاريخ الاعيان, الهند حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥١.
الصابي ابو الحسن الهلال بن المحسن (ت: ٤٤٨هـ – ١٠٥٦م).
٣٩. تحفة الوزراء، ت: عبد الستار احمد فراج، القاهرة، دار احياء الكبرى العربية، ١٩٥٨.
الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ – ٩٢٣م).
٤٠. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥.
الفراهيدي: الخليل بن احمد (ت: ١٧٥هـ –٧٨٢م).
٤١. كتاب العين، ت: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦
الفيروزآبادي: ابو الحسين علي بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ – ١٤١٤م).
٤٢. القاموس المحيط، بيروت، دار الجيل, مصورة عن طبيعة البابي الحلبي بمصر، ١٩٥٢.
القرماني: ابي العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي (ت: ١٠٩هـ – ١٦١٠م).
٤٣. اخبار الدول واثار الأول في التاريخ، بيروت، عالم الكتب، بلا تاريخ.
القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي (ت: ٨٢١هـ – ١٤١٨م).

٤٤. صبح الاعشى في صناعة الانشا, نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٦٣.

الماوردي: ابو الحسن علي بن محمد حبيب البصري البغدادي (ت: ٤٥٠هـ – ١٠٥٨م).

٤٥. نصيحة الملوك، ت: محمد جاسم الحديثي، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦، القاهرة، مطبعة السعادة.

المسعودي ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (تك ٣٤٦هـ – ٩٥٧م).

٤٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، ١٩٦٥–١٩٦٦.

مؤلف مجهول

٤٧. قانون السياسة ودستور الرئاسة، تحقيق: محمد جاسم الحديثي، بغداد، مطبعة دار الحرية للطباعة، ١٩٨٧.

النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت: ٧٣٣ هـ – ١٣٣٢م).

٤٨. نهاية الأرب في فنون الادب, القاهرة, مطابع كوستانوماس، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب, المؤسسة المصرية، بلا تاريخ.

الهرثمي: ابو سعيد الشعراني صاحب المامون (ت: القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي).

٤٩. مختصر سياسة الحروب، تحقيق: عبد الرؤوف عوني، القاهرة، ١٩٦٤.

الهروي علي بن ابي بكر الهروي (ت: ٦١١ هـ – ١٢١٤م).

٥٠. تذكرة الهروية في الحيل الحربية، تحقيق: مطبع مرابط، دمشق، وزراة الثقافة، ١٩٧٢م.

ياقوت الحموي: شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت: ٦٢٦ هـ–١٢٢٩م).

معجم البلدان، طبعة بيروت، دار صادر وبيروت، ١٩٥٧.